

النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود
". والتحدي " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أمودجا

The Algerian elite and the French colonial oppression policy : A reading in the images of suffering and the manifestations of steadfastness and challenge" The poets of the independence . "revolution in the darkness of occupation prisons, as a model

بوقاعدة البشير (*)

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، (الدولة)، bougaadabachir@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/ 03 تاريخ القبول: 2021/01/ 02 تاريخ النشر: اليوم / الشهر / السنة

يعالج هذا المقال بالدراسة والتحليل، جانبا من الاسهام النضالي؛ الذي اضطلع به شعراء الثورة إلى جانب نظرائهم من المناضلين الجزائريين في سبيل القضية الوطنية، بحيث يسלט الضوء بشكل أخص على الواقع الذي تحطت بين أمشاجه هذه الشريحة بين ظلمات سجون الاحتلال، ونضالها بواسطة القلم والشعر؛ كأحد الأسلحة الفتاكة التي أشهرتها في وجه المحتل، لكشف حقيقته وغاياته، بالإضافة إلى ملامسة الدور البطولي الذي تحلى به هؤلاء الشعراء الثوار في شدّ عضد اللحمة النضالية، وتطعيم قوة الثورة، والزيادة في مفعولها، ناهيك عن الافصاح عن نماذج من تضحيات أولئك الشعراء وتشخيص أدوارهم وبطولاتهم.

الملخص

الكلمات الدالة: السجنون، الاضطهاد، الشعراء، المعاناة، الصمود، التحدي.

Abstrac: This article aims at studying and analyzing an aspect of the struggle contribution of the revolution poets alongside with thier counterparts from the Algerian militant, for the national case, as it highlights the reality being lived by that segment of people within the darkness of occupation prisons and its struggle by the pen and poetry as one of the most destructive weapons that it drew in the face of the colonizer, in order to reveal its reality and targets. And also to commend the heroic role played by those poets in increasing the struggle cohesion.

Keywords: prisons, oppression, poets, suffering, steadfastness, challenge.

* المؤلف المرسل.

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

مقدمة :

لم يدخر المستعمر الفرنسي أي جهد لقطع اللسان الجزائري الذي يصيح بالحرية، وخنق كل طموح ينشده في بلوغها، وتعطيل أيّ صنيع يقدم عليه لاقتلاع حرته بالقوة. ذلك أنه كان يدرك دون مواربة، أن حياته في أرض الجزائر، رهينة بدين كل لون من ألوان المقاومة والتصدي ودحض أي جهد مقاوماتي يُبديه ضده. وتضاعف جهد المحتل أكثر، حين اصطدم بثورة تختلف عن صنوف المقاومة التي اضطلع بها الجزائريون ضد جبروته من قَبْل، من حيث التنظيم والشمولية؛ وهي ثورة الفاتح من نوفمبر 1954؛ إذ رفع بشكل رهيب من مستوى الوحشية المنتهجة ضد الجزائري، وراح يتفنّن بكل ما جادت به قرائح القادة الفرنسيين وجالديهم لسحق الثورة النوفمبرية، وإخماد لهيبها المنتشر في شتى أرجاء الوطن الجزائري بكل ما أوتي من قوة وامكانات ودعم .

وكان السجن والاعتقال وصنوف التعذيب والبطش، من ضمن قائمة الأساليب القمعية-الوحشية التي راهن الفرنسيون على مفعولها، في مسعاهم لإبطال مفعول الثورة وسحق جنودها وإخماد لهيب نيرانها المتعاضم، وكان من زمرة العناصر الثورية التي شدّد الخناق عليها -إلى جانب الساسة والقادة وغيرهم من المناضلين- هم فئة النخبة الجزائرية المُقاومة لجبروته والرافضة لطغيانه والساعية لكسر شوكته، ومن زمرتها شريحة الشعراء، في مسعى من القيادة الفرنسية لحبس أنفاس كل من يصنع ملاحم بطولية من الجزائريين بواسطة القلم والشعر إلى جانب السلاح.

وهي الشريحة التي أخضعناها للمدارسة في هذه الورقة البحثية، لنقف على مستويات الصمود ومظاهر التحدي التي كشفت عنها هذه الشريحة من النخب الجزائرية في سبيل تحرير الجزائر، بالإضافة إلى الوقوف على ما أنتجه القلم الشعري لنماذج من فحول الشعراء لمادة

تروي ظمأ روح التضحية في سبيل استقلال الجزائر في نفس الجزائري، وتعين على الرفع من مستويات الصمود والمجاهمة في قلبه لجبروت سياسة المحتل الوحشية ومشاريعه القمعية-التعسفية. ذلك أنّ شعراء الثورة النوفمبرية المجيدة، كانوا يطعمون بسالة الثوار بشحنات قوية تزيد من حماستهم، وترفع من مستويات صبرهم ومفعول صمودهم، كما كانت جهودهم العقلية والفكرية تُغذي طاقتهم النضالية بروح التضحية، وتعينهم على بذل النفس والنفيس في سبيل القضية الوطنية التحريرية⁽¹⁾.

إنّ بشاعة السياسة الاستدمارية المنتهجة في حق المعتقلين الجزائريين في سجون المحتل ومعتقلاته -ومن زمرتهم الشعراء-، لم تكن -في حقيقة الأمر- كاجبا يعطل فكرهم، ويقطع لسانهم عن انشاد أشعار ونظم قصائد، وهم بين جدران غياهب السجون وظلماتها، وإّما كانوا يجهرون بألوان من القصائد الشعرية لكشف حقيقة المستدمر وجبروت سياسته، ويصنعون صورا حية عن البسالة والصمود والتحدي أمام ألوان سياسته القمعية وصنوفه التعديبية، وينطقون بالحقيقة التي يرفضها المحتل؛ والتي هي الرغبة الجامحة في بلوغ الاستقلال واسترجاع الحرية وطرد المحتل.

نعم لم يزهّد الشاعر الجزائري في قول الشعر والبوح بواقعه المتأزم داخل السجن وواقع مجتمعه تحت جبروت السياسة الاستدمارية، فكان يعزف ألحانا تعبّر عما خالجه من شعور بقوة إيمانهم بقضية وطنهم، ومتانة نسيج الانتماء للوطن الجزائري، وشعور بروح المسؤولية الجماعية تجاه الوطن، وتعبيرا عن الرفض القاطع للحياة تحت سقف الاحتلال.

لقد كان من الطبيعي ضمن مساحة الطبيعة البشرية والغريزة الانسانية، أنّ شعراء الثورة التحريرية، كانوا ينطقون بلغة شعرية فصيحة وحيّة، تكشف واقع المعاناة تحت سقف الغربة والابتعاد عن الأهل والأحباب بين جدران السجون وقضبان المعتقلات؛ فقد ترجم نصيب من أشعارهم، صورا من حجم تلك النار المشتعلة في أكبادهم من لهيب فرقة الأهل والأحبة، وحجم الاكتواء بنار التعذيب على يد جنود الاحتلال.

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحمدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

إن إدراك الشاعر الجزائري -على غرار نظرائه من قادة الثورة وجنودها وداعميها-، ويقينه على ضوء رؤية متبصرة للحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المظلمة التي يروح تحت سقفها هو وعناصر مجتمعه؛ بأن ذلك الواقع لا يوافق طموح أي جزائري ولا نسيج أحلامه، كان دافعا قويا لقذف روح الصبر في جسمه، ومدّه بسبل لا ينقطع من الشحنات الداعمة، للملزمة الشمل، وتكثيف الجهد لدعم العمل الكفاحي والنضال التحرري بالقلم أو الفكر، والسلاح، والنفس.

1. سجون المحتل... حلقة من حلقات سلسلة القمع الاستعماري لتفكيك الثورة النوفمبرية :

إن استفاقة قادة الاحتلال من غفوة أنّ ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 ليست ثورة عصاة وشرذمة م وهي أضحت تلامس بأمّ عينها، أنّ الجزائري ما كان يرضى ولن يرضى -تحت أيّ لغة ينطق بها جبروت التعذيب وسلاح التهيب وسياسة التغريب التي تنتهجها- بأن يعيش تحت سقف الاحتلال مسلوب الحرية، وأنّه ما انفكّ يُقدّم أعلى ما يملك؛ وهي نفسه أو روحه فداءً لوطنه، وصدق الشاعر حين قال:

فيا جزائرنا الحمراء أنت لها أرضي العلى واصبري

تلوح لي منك هذا اليوم بارقة توحى إلي بأنّ النصر قد قربا

وكل حرية لا تشتري بدم لم يرح طالبها في ليلها الاربا⁽²⁾.

كما لم يخف على قادة الاحتلال وجلاّديه، أنّ ملامسة الغرض والدنو من حدود تحقيقه، ينبغي أن يُبنى على عرش سياسة مدروسة تأخذ بعين الاعتبار، مقومات قوة الثورة الجزائرية، ومميزاتها، ومن يُغديّ مجرياتها ويستبسل في ذلك، ومن له كبير التأثير وعظيم القوة في دعمها والسهر على ديمومة الحياة في جسمها، فقد حَبِرت كثيرا ولا مست بشكل مباشر مستويات عالية من الصبر، والتحمدي، والاستماتة التي يتحلّى بها المناضل والمقاوم والثائر الجزائري في سبيل قضيته.

ولعلّ من بين ما يصدق على ذلك، ما هتف به شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا"، حين صرخ في وجه

يا مصنع المجد و رمز الفدا
يا معقل الأبطال و الشهدا
يا من بمنتدى الأحرار و الملتقى
أصبحت يا سجن لنا معبدا
يا مهبط الوحي لشعر البقا
عليك تنلو العهد و الموثقا⁽³⁾.

لذلك، فقد راهن قادة الاحتلال على سبيل العزل، وسلوك التخطيم النفسي، و الفرع المعنوي لفتح عُقد النسيج الذي يربط شبكة القوة واللحمة التي تصطبغ بها قوة ثوار الجزائر؛ لما لهذا النمط الحربي من فعالية في قتل روح الإرادة لدى المناضل و المحارب، و قدرته على زعزعة إيمانه بقضية وطنه و إضعاف صلته الروحية به، و الذي عجزت عن فك عُقده سُبُل القمع و العنف و الارهاب⁽⁴⁾.

تأسيسا على ما سبق بسطه، نشير بأنّ الإدارة الفرنسية، كانت تحوز من المقومات المادية - نظريا طبعاً - التي تعينها على الاقتراب من ملامسة الغاية المسطورة لو لا قوة الإرادة الجزائرية و مادة الصمود و التضحية التي تحلّى بها الجزائري في سبيل وطنه؛ و ذلك طبعاً بناء على حجم الفارق في الامكانيات الحربية الشاسع بين قوات المحتل و امكانيات الثورة التحريرية الجزائرية؛ فقد أعدت ترسانة من السجون و المعتقلات، تمّ انشاؤها لهذا الغرض التعسفي؛ بحيث كانت تحوز هذه السجون من المواصفات التقنية ما يؤهلها لأن يزرع من يُرَجُّ بين جدرانها في أحشاء ظلمة عاتمة، و يدوق بين ضلوعها حياة ضنكا، و تسومه ألوان من الضيق و الأذى، و وبالاً من ضروب العذاب و المشقة و المعاناة، و من تلك المواصفات التقنية ما يأتي ذكره:

- إقامة جدران السجون من الحجارة الكبيرة أو بالإسمنت المسلح⁽⁵⁾؛ و ذلك حتى تكون متينة، و عاتية عن الاختراق، و منيعة أمام أي محاولة للفرار و النجاة من ظلماها⁽⁶⁾.

- جعل نوافذ صغيرة الحجم على مساحة الجدار، مع تدعيم فضاءاتها بقضبان حديدية غليظة لا تسمح إلا بدخول الهواء. كما أنّ أبوابها مصنوعة من صفائح حديدية متينة، و مدعّمة بأقفال محكمة، كفيلة بأن تذيق من يُسجن وراءها معيشة ضنكا، و منها: سجن "بربروس" بالقصبة،

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الإضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدى " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

وسجن الحراش بالجزائر، وسجن "لامبيز" بتازولت بباتنة، وسجن "الكديدة" بقسنطينة، ونحو ذلك من سجون أقامها المحتل⁽⁷⁾.

- كانوا يبنون سجوناً تحت الأرض في شكل زرنانات أو مقابر لدفن الجزائريين أحياء حتى يذيقوهم أشد ألوان التعذيب، وأقسى مظاهر التنكيل و صنوف التقتيل، ناهيك عن أعمال السخرية والشاقة⁽⁸⁾.

- مصلحة الحراسة والمراقبة، بالإضافة إلى هيئة التفتيش والمراقبة والتي تشرف بدورها على إدارة السجون الفرنسية المترامية عبر التراب الجزائري، بحيث تسعى لفرض الرقابة الدائمة والحراسة المشددة على السجين الجزائري المحشور في قبور تلك السجون يذوق ألوانا شتى من التعذيب والبطش⁽⁹⁾.

2. شعراء شهود على مرارة سجن المحتل: محطات كاشفة لجرائم الجاني و صمود المجني عليه:

إنّ ملامسة عمل بحثي إحصائي لشريحة واسعة من شعراء الثورة التحريرية الكبرى الذين ذاقوا بشاعة سجن المحتل وتجرعوا مرارة تعسّف القائمين عليه، وبسط صور ناصعة شافية عن جهدهم النضالي-الكفاحي ضمن المساحة الزمنية المؤطرة لمسيرة الكفاح التحرري، ليس في المتناول في حجم دراسة من قبيل التي بين أيدينا -على اعتبار عامل الزمن، وحجم المادة الخبرية وكثافتها، وضخامة النماذج والعينات-، بيد أنّ ذلك لا يمنعنا من بسط نماذج ولو محدودة، من شأنها أن تكشف لنا بصيصا من الصور الحية عن واقع حياة السجين، وما كابده بين ضلوع قضبان السجون وظلماتها، مع العلم أنّ ما كابده الشاعر لا يختلف عمّا يكابده كل مناضل جزائري في سبيل الجزائر، ومن أولئك الشعراء نذكر:

2. 1. الشاعر مفدي زكريا (1908-1977) نموذج للشهادة الحية:

يُصنّف هذا الشاعر في طليعة الشعراء الذين تجرّعوا مرارة سجن المحتل أكثر من مرة بين الفترة الممتدة بين 1937 و 1959، فكان بذلك نموذجا لشاهد حيّ على الوضعية التي كان الشعراء وغيرهم من المناضلين المعتقلين يتخبّطون بين دروبها في السجون ويعانون تحت سقف

أمشاجها: من ضروب التقتيل، وصنوف التعذيب⁽¹⁰⁾، ومظاهر التنكيل. ويضع بين أيدينا الباحث "مصطفى بيطام" نسا وصفيا لصاحبه شاعر الثورة "مفدي زكريا"⁽¹¹⁾، عنونه بـ "كيف نتحدى الموت أمام المقصلة"؛ والذي يرسم من خلاله هذا الشاعر جانبا من صور للأحاسيس النائرة التي تنطق بحال الشعراء المسجونين وهم يقفون على حال مواكب المناضلين الصاعدة إلى المقصلة تروم الشهادة في عزة وأنفة وتهمف بصيحات مدوية "تحيا الجزائر حرة مستقلة"، وكذا ما تعلق بصور المعاملة القاسية التي يُعامل بها السجين الجزائري.

وحتى تتجلى لنا الصورة في أبهى حللها، نترك المجال لصاحبها لينطق بما جاء على لسانه قائلا: "هناك بين حنايا سجن بربوس المظلمة وتحت أقبيتها المتأكلة المتداعية يجثم ثلاثة آلاف أو يزيدون من خيرة شباب الجزائر بين دفين في أعماق الزنانات السرية رهن التحقيق وبين منتظر إحالته على المحكمة للبت في قضيته التي تم التحقيق فيها منذ ما يزيد عن سنتين وحضرة القاضي في شغل برحلات الشتاء والصيف عن اتمام الملفات المكدسة فوق مكتبه. وما يستعجله والعصافير في أقفاص من حديد؟ وبين محكوم عليه بأحكام أقصاها إعدام وأدناه ثلاث سنوات... تحت هذا الهيكل العابس "بربوس" الذي يعن تحت أغلال السنين، ويتندى من برحاء المعذبين وأنات الموكورين، توجد سراديب عليها غبرة، ترهقها فترة نحتوا كذا منها زنانات أشبه شيء بالجحور أعدوها لإنزال ضيوف الموت المحجلين بالخالخل في السوق والمصفدين بالسلاسل في الأعناق، أولئك الذين يسموهم المحكوم عليهم بالإعدام ونسميهم الشهداء الكرام"⁽¹²⁾.

وإذا كان مسعى قادة الاحتلال من هذا السلوك التعديبي-التعسفي، هو القضاء على كل نفس يهتف بالثقة في المصير الايجابي للفعل الثوري التحرري، وتهديم كل صرح يبني على عرش عقل السجين مُزَيّن بإرادة فولاذية في المضي قدما إلى جنب المناضلين وخدمة القضية الوطنية ونصرة شعاراتها التحررية، فإنّ تلك الجهود كانت تجابه بصبر وعزيمة من طرف السجناء، حتى أنّ صبرهم ذلك، كان حربا نفسية مضادة لكسر سلاح الحرب النفسية والضغط المعنوي الذي

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الإضطهاد الاستدماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحمدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

تنتهجه قوات الاحتلال لبلوغ المآرب الاستدمارية-التعسفية، فكان السجناء يبلون بلاء حسنا في الصبر من خلال الحفاظ على أسرار الثورة وعدم الإدلاء بأي تصريح أو تلميح ضد إخوانهم المناضلين.

وحتى تُقوّي ما نبسطه من مادة خبرية، ونشدّ عضد طارحتنا هذه بأدلة تاريخية، يحسن بنا أن نستعين بالفرنسيين⁽¹³⁾، إذ يطلعنا على مشاهد بطولية يرسمها أولئك الأبطال السجناء الذين كانوا يستقبلون إخوانهم حين يعودون من مجالس المحاكمة بالأناشيد والزغاريد أو تلك النماذج الخالدة من حالة السجناء البطولية وهو يُقَاد إلى المقصلة.

وحتى نقترّب أكثر من عمق الحدث، ونظّل بشكل مباشر على عظيم صور البطولة والتحمدي والصبر التي كان السجناء الجزائري المناضل يرسمها، مُخْلِداً فعلا بطوليا عظيما في ذاكرة أصحابه ومخيلهم وذاكرة كل جزائري ينبض دم الجزائر في عروقه، نورد ما ساقه الشاعر "مفدي زكريا" في رسالة وردت إليه من عند صديقه في سجن "بربروس"، فحواها كما جاء على لسانه: " وإن أنسى، فلا أنسى - ما دمت حيا- تلك الكلمة الخالدة التي كتبها إلي أخي مصطفى أحد رفيقي بالزنزانة رقم "57" غداة رجوعه من المحكمة نزيلا في سرايب الموت، وقد كنت أنتظر عودته للزنزانة ليتناول معنا طعام العشاء كالعادة: "أخي العزيز ورفيقي في الجهاد سلامي عليك وعلى الأخ خالد. أعرف أنكما تألتما لعدم رجوعي إلى الوكر الذي ألفناه والذي اعتدنا أن نتسامر فيه إلى ساعة متأخرة من الليل يفضي كل منا للآخر بذات نفسه ويثبه أشجاناه فيجد عنده العزاء والسلوى، وكما كنا نستعرض معا تاريخ أبطالنا وشهدائنا الأبرار ونفسح لأماننا أفاقا غير محدودة، وكنا نقول دائما إن التضحية في سبيل الجزائر لا أحد لها، وأن استقلال الجزائر لا يُقدّر بثمن. نعم لقد حكموا علي بالإعدام. وأقسم لكما بشرف الجزائر أبي لم أشعر يوما في حياتي بالطمأنينة والراحة والسكينة التي شعرت بها⁽¹⁴⁾، وأودع في روحا قدسية أصبحت أرى بها الدنيا ابتسامة خالدة، وإخوان كلهم على حالة واحدة، فلو أطلعتما علينا لرأيتما نتعانق بالمحكمة ونصرخ بلسان واحد في وجه الطغاة الجبناء: نرحب بالموت في سبيل

استقلال الجزائر، أنكم مهما تقتلون وتعدمون فإن فكرة الاستقلال لن تموت ما دام بالجزائر كبد حرى. بلغ سلامي لجميع الإخوان وتدرعوا بالصبر⁽¹⁵⁾.

والحق، إنها لمشاهد بطولية نادرة؛ تلك التي تنطق بإحساس الفرد بأحلى اللحظات في حياته، وأطيبها وأجمل فتراتها وقد حُكِم عليه بالإعدام وأنّ الموت منه قاب قوسين أو أدنى، لا لشيء سوى لأنه يعلم أنّه في الطريق إلى الشهادة؛ الشهادة في سبيل الوطن، وأنّه ما دام في سبيل استقلال الجزائر وحرية شعبها، فإنّ روحه فداء لذلك تهون وتصبح له سلطة له عليها وإتّما هي في يد السلطان الذي هو الجزائر يصرفها في سبيل حريتها وكرامتها، بل وأقلّ ما يمكن أن يفدي المُضحى أو المحكوم عليه بالإعدام من طرف القضاء العسكري الاحتلالي به الجزائر هي نفسه التي هي أعزّ ما يملك؛ فالجزائر فوق كل اعتبار وحتى وإن كان أعز ما يملك الانسان وأكثر ما يتشبث به بنو البشر ألا وهو روحه أو نفسه .

وإن كان لا يختلف اثنان ولا يتنازعان، في أنّ ذلك الشعور بالمسؤولية تجاه الوطن الذي تحلّى به من قدّم نفسه في سبيل وطنه، لا يعدّ سلوكا غريبا عن كل جزائري مناضل في سبيل قضية بلاده ضد المحتل الفرنسي، كما أنّه لم يشكّل مطلقا عند الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين آمنوا بقضية وطنهم وآرزوها، أزمة عايشوها، وإتّما لذة ظفروا بها، وذلك بحكم الديانة الاسلامية التي يدينونها وعقيدتها التي ينتحلونها؛ والتي حدّدت معالم التضحية في سبيل القضايا العادلة والكرامة الانسانية ومناهضة استعباد العباد للعباد، وكشفت عظيم الأجر والثواب الذي يحصدونه في سبيل ذلك. لذلك كانت المشاهد التي تفصح عن صمود الجزائري في وجه جيروت الاحتلال وسياسته البطشية-القمعية، وتمسّكه بمهويته ومقومات شخصيته الوطنية، تتناسل في مساره النضالي التحرري، كما شهدت بذلك الروايات التاريخية واحتفظت به الذاكرة الجزائرية، وهو ما ترجمه كذلك سلوكات السجين قبيل أن يُنفذ فيه حكم الإعدام، من خلال حرصه على طهارة بدنه وعنايته بواجباته الدينية كالصلاة والدعاء.

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدى " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

إنّ من أعظم السلوكات البطولية اللافتة للنظر؛ تلك التي يتحلّى بها سجين القضية الوطنية في زنانات المحتل قبيل لحظات من إعدامه، إلى صفّ ما ذكرنا سالفًا: أن يتقدّم المحكوم عليه بالإعدام إلى المقصلة في عزة نفس، وأنفة عالية، وشموخ كبير، وإباء هائل، في مشهد يُنبأ عن استهزاء بالخصوم والاستهانة بالمصير الذي كتبه العدو، متحدّيًا كل طرائق المحتل التعسفية، ومستخفًا به وضاربا بكل إجراءاته الإرهابية عرض الحائط، صارخا في عزة نفس: كل شيء يهون في سبيل الجزائر.

ولا بأس أن نستشهد بما ساقه الشاعر "مفدي زكريا" عن أحد المشاهد الناطقة بصنيع ما ذكرنا، حين يوجد علينا بصورة بهيمة، تحكي حال أحد المجاهدين أمام المقصلة، وقد حكم عليه بالإعدام، فيقول: "وهناك أمام المقصلة وفي حفل من الجلادين يسأله القاضي: ألك طلبة تريدها؟ فيجيبه بسخرية وازدراء: ليس من عادتنا أن نطلب، بل من عادتنا أن ننتزع وسننتزع منكم استقلالنا، إن عاجلا أو آجلا. ألا تخاف من المقصلة؟ ما أنا بالذي أخاف من مقصلة أعدت منبرا لأمثالي، بل إنّ المقصلة سترتعد فرائصها من بعد قليل. فيسأله (فضيلة الامام)، هل لك وصية توصي بها؟ -لقد كنت إماما تصلي بالناس- فيجيب وصيتي لك ولأمثالك أن أكون اليوم إماما لتصلي ورائي، ثم يصعد المقصلة شامخا أنفه، رافعا رأسه صارخا في أذن الدنيا: الله أكبر، تحيا الجزائر:

ونداء مضى يهز

صرخة ترجف العوالم منها

الوجودا:

واصلبوني فلست أخشى

أعدموني فلست أخشى حبالا

حديدا

ولا تلتئم فلست حقودا"

وامتثل سافرا محياك جلادي

أنا راضٍ، إن عاش شعبي

واقض يا موت فيّ ما أنت قاض

سعيدا

حرّة مستقلة لن تبيدا أنا إن مت فالجزائر تحيا (16)

أما عن حال الشاعر "مفدي زكريا"، فبعدهما وصف لنا حال اخوانه المناضلين الشجعان، وهم يتحدون لمواجهة أساليب المستدمر القمعية ويتحدونها بصمود وبسالة، نراه أيضا، يصرّح بمدى تمسّكه بقضية وطنه، ودعوته إلى الصبر، واستحسان كل ما يُتجرّع على يد جنود المحتل من مرارة التعذيب وأساليب المكر والترويع وهوان ذلك لأجل الجزائر وفي سبيلها، فيقول:

يا سجن ما أنت؟ لا أخشاك تعرفني من يحدق البحر لا يحدق الغرق
إني بلوتك في ضيق وفي سعة وذقت كأسك لا حقد ولا

حنق

أنام ملء عيوني غبطة و رضى على صياصيك لا هم و لا قلق (17)

من الروائع التي أوحى بها السجن "مفدي زكريا" - كما راق "للعربي الزبيدي" التعبير عنها (18) - ذلك النشيد الذي نسوق جانبا منه :

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود
واثخي يا جراح واحدقي يا قيود
نحن قوم أباة ليس فينا جبان
قد سئمنا الحياة في الشقا والهوان
ادخلونا السجون جرعونا المنون
ليس فينا خؤون ينثي أو يهون

أجلدوا ، عذبوا

واشنقوا، واصلبوا

واحرقوا، واضربوا

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الإضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحمدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

نحن لا نرهب

كما أنه وفي ظلّ المساعي الحثيثة التي يبذلها المحتل لسلب مقومات الجزائري الروحية والثقافية، وتغريبه عن وطنه، وذاته، ومجتمعه، أو سلخه عن روحه، ولغته، وأصالته، وثقافته، لم يتخلف الشاعر الجزائري إلى جانب نظرائه من مناضلي الفكر والقلم عن ركب دعوة الجزائري إلى ضرورة التمسك بالهوية، والمحافظة على الشخصية الجزائرية، من قبيل: الصيحة التنبيهية التي أطلقها الشاعر "مفدي زكريا"⁽¹⁹⁾، والتي من مقتطفاتها ما يأتي ذكره:

أمانا من الخطر الداهم ومن معول قاصف هادم
غزا المذهبيون عقل الشباب ويمستورد أفن آثم⁽²⁰⁾.

وحتى نضع الأصبع على بيت الداء، ونجلي الصورة بشكل أدقّ، نورد أبيات الشاعر "مفدي زكريا" التي يتغنى فيها بلغة وطنه، ورمز هويته، والحرص على أن تظل مناعة الجزائري قوية حساسة ضدّ أي فيروس فرنسي قاتل، ودعوته الصريحة لمجاهمة التغريب و مظاهر الازدلال الذي تصارع فرنسا لأجله، فيقول:

دُلّ شعب لم يتخذ لغة الأجداد حصنا و رام عنها انفصال
وعقوق البنين أعظم خطب يرهب الشعب ذلة

ونكالا⁽²¹⁾.

ولا شك أنّ التصدي لسياسة المحتل، يقتضي أن تجتمع قلوب الجزائريين على قلب واحد وكلمة واحدة وعقل واحد، حتى تعجز قوات الاحتلال عن اختراق نسيج مناعته، وحصون ثقافته، وجدران هويته. لذلك، ضمّ الشاعر "مفدي زكريا" صوته لأصوات نظرائه من المناضلين، داعيا لضرورة تكاتف الجهود لزعة تماسك قوات المحتل، وإبطال مشاريعه، وصدّ كل محاولاته الاستعمارية، ومنها سياسته: "فرق تسد"، ومن بين ما جهر به في ذات المضمار ما نطق به قائلا:

ورمي الشامتون فيها، بنيتها بالتعادي، والحقد، لؤما وغدرا

فعدا مسلم، يقاطع فيها مسلما، والدخيل يختال فخرا⁽²²⁾.
 ثم إن من أعظم صور البطولة والشجاعة والإقدام على الموت في سبيل الوطن، ما يجسده سلوك أولئك السجناء الأبطال الذين يتسابقون لنيل الشهادة، فيزدحمون ويتنافسون من يحظى بها أولا وقبل غيره، حتى أنه ونظرا لذلك التنافس والازدحام فيما بينهم، كانت الإدارة الاستدمارية تتدخل لفض النزاع بينهم حول من يموت أولا قبل نظرائه، وذلك بالرجوع إلى السجلات التي دُوّنت فيها أحكام الإعدام، فيُعدم كل حسب رتبته، فيقول "مفدي زكريا: "وهل بلغك خبر الثلاثة الذين يتزاحمون عن الموت فيدعي كل واحد منهم أنه صاحب الرقم المطلوب حتى تضطر إدارة السجن لمراجعة دفاترها والتحقيق من شخصية المطلوب"⁽²³⁾.

ولا ينتابنا شكّ قيد أملة آنخذ، أنّ هذا السلوك السامي من الجزائري؛ وهو يتزاحم ليظفر بالموت ويتسابق ليفوز به: هو قبلة مقيمة يفجرها في جسم ثقة الفرنسيين بأهمّ بإمكانهم أن يُسكتوا صوت الثورة، ويقطعوا ألسنة الجزائريين الناطقين بها، ويسلخوا ثقة المناضل الجزائري في قضيته الوطنية ومشروعه التحرري، ومن يشرف عليه من قادة الثورة.

كما أنّ ممّا يصدق على ذلك ما أورده الشاعر "أحمد سحنون"⁽²⁴⁾ في قوله:

لا تمب إن رمت تحرير الحمى ما تراه من عتاد وعديد
 لا تخف فالحوف موت عاجل والردي جسر إلى العيش

الرعيد

أيخاف المؤمن الموت وقد كتب الله له أجر شهيد؟
 نجم أعدائك أمسى أفلا وأرى نجمك أضحى في

صعود⁽²⁵⁾.

يجمع أهل التأريخ للثورة التحريرية، بأن أشهر قصيدة نُظمت بين جدران سجون المحتل ابان الثورة المطفرة، والتي تنطق بلغة فصيحة وصادقة عن أشكال الثبات والتحدي والصمود؛ تلك التي تروي مشهد صعود أول شهيد جزائري صعد إلى مشنقة المحتل، وهو أحمد زبانه في

عنوان المقال: الفخبة الجزائرية وسياسة الإضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحمدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

سجن بربروس (سركاجي)⁽²⁶⁾، وتعرف القصيدة بقصيدة "الذبيح الصاعد"⁽²⁷⁾، نطق بما "مفدي زكريا" في ثوب شعري بهي، وبلغت شعرية راقية، ومعبرة تحترق عواطف من كان له قلب من حديد، وتحلّي معاني عظمة التحدي، وبسالة المرء وهو يفدي وطنه بروحه، ويهدي الجزائر أعلى ما يملك، أو نقول: أعزّ ما لا يُعطى لو طُلب⁽²⁸⁾.

2.2. الشاعر أحمد سحنون: صورة ناصعة لواقع السجين التأمزي وتجليات معاناته:

لقد كان شعر السجون -حقيقة- مرآة ناصعة، تكشف صور الجريمة الاستعمارية في حق السجين الجزائري، وألوان الإساءة والعنف الجسدي والمعنوي الذي مارسه الجلاد الفرنسي على ضحايا سجون المحتل. كما شكّل مادة حية، ترجمت -بلغت بليغة- ما كان يخالج نفس السجين وصدوره من مظاهر القلق على الأهل وبشكل أكبر قلقه على مصير الثورة ومشروع الاستقلال. وإلى جانب هذا، كان ذلك الشعر أيضا، تعبير صادق وجليّ عن حجم التحدي الكبير الذي تحلّى به السجين الجزائري نُصرةً لقضيته، وعن مستويات الأمل والرجاء العالية التي عقدها في نفسه ونسجها في إرادته في مسعاه التحرري وجهده النضالي. وكان من بين الشعراء الذين تركوا بصماتهم الخالدة في هذا الصدد، الشاعر "أحمد سحنون"، والذي نقطف من جنان من نظمه من شعر في سجون المحتل، ما يأتي ذكره:

أرى السجن خنقا للمواهب والنهي فكيف يطبق الحر في

ظله مأوى

وهل يستطيب العيش في السجن شاعر تضيق به الدنيا فيجأر

بالشكوى

تلم به في اليوم أخيلة الحمى وتنتابه في الليل

أطياف من يهوى

فيمضي بياض اليوم بالهم والأسى ويمضي سواد الليل

بالبث والنجوى

فحرية الأوطان غايتي

فيارب حرّز موطني كي أزوره

القصوى (29).

تلمس من خلال هذه الأبيات، أنّ الشاعر وعلى الرغم من كونه يفصح عن ما يعانیه في ظلمة السجن وما يكابده من عناء ومشقة بين جدرانها، إلا أنّ حرية الجزائر تظل فوق كل اعتبار، وأتّما الغاية المنشودة والهدف الأسمى والمراد المرغوب الذي يُستمت في طلبه. نعم لقد كان الشاعر، ورغم تألمه ممّا يلاقه على أيدي طغاة المحتل بين القضبان من مظاهر التعذيب اللاإنسانية الكاشفة لغياب الضمير البشري والحس الانساني، وألم الوحشة التي ألمّت به في ظلمة السجن وعذاب الغربة والحنين إلى الأهل والأحباب الذي طاله تحت سقفه، وما يختلجه من خوف على مصير الكفاح التحرري، يعي -تمام الوعي- أنّ نيل الحرية يقتضي أثمانا باهظة، وأن تحرير الجزائر لا بد له من ضريبة غالية. لذلك كانت قناعته راسخة بضرورة التحلي بالصبر والصمود والتحدّي، وهو ما نجد صده مدويا في مادة الأبيات الشعرية التي نظمها الشاعر "أحمد سحنون"؛ إذ بعدما ساق أبياتا تعبر عن شوقه وتألمه من واقع السجن التأزمي، أتبع ذلك، بقوله (30):

والايما القوي زادي وهل ينفذ زاد من قوة الايمان
وطريق التحرير قد حف بالأشواك لا بالورود والريحان
واستقلال الأوطان لا بد محتاج إلى باهظ الأثمان
فلتكن غربتي ونفي وسجني في سبيل التحرير للأوطان
وليكن لي من إخوتي ورفاقي خير آس من لوعة الأحزان
إنني قد عرفت في السجن إخوانا بهم قد غفرت ذنب الزمان
فيهم من بني الجزائر شبان كرام من خيرة الشبان
وصناديد من قسنطينة الشماء أرض الأبطال والشجعان
وليوث خاضوا الوغى في تلمسان فدانت لهم قوى الطغيان

عنوان المقال: الفخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

وإذا ما ذكرت وهران فالعرب البهاليل ثم في وهران
هاهنا إخوتي وكل مكان قد حوى إخوتي فخبر مكان
فلتكن سلوتي اجتماعي بإخوتي إذا كان موطني غير دان⁽³¹⁾.
وإذا كان الشاعر بطبيعته البشرية، قد نظم قصائد يشكو حاله الذي يفتشه بين
جنبات السجن وتحت سلطان المحتل، فإنّ شكواه لحال وطنه كانت السمة الطاغية على ما
ينظمه من شعر وقصائد، وهو ما يشهد به ما نظمه ذات الشاعر، حين قال:

يا أمة جمعتها	عقيدة الايمان
وإخوة قد تلاقوا	على هوى الأوطان
وأنفسا ظامئات	للعلم والعرفان
تحية من فؤاد	في حبك متفاني
إنّ الجزائر تشكوا	لكم بدون لسان
تشكوا لكم ما تلاقي	من ذلة وهوان
فلتتجدوها لتحمي	كسائر البلدان ⁽³²⁾ .

2.3. الشاعر صالح خباشة مثال قوة تصدّي السجين وروح التحدي:

الشاعر "صالح خباشة"⁽³³⁾ وعلى غرار نظرائه من الشعراء وأبطال النضال بالقلم والفكر،
كانت قصائده هي الأخرى: عنوانا بارزا لملاحم بطولية؛ بحيث تصور صنفا من البشر يروم
العذاب والموت الحقيقي رفضا للعذاب والموت حيا بين أظهر المحتل. ومّا جاد به في مضمار
طارحتنا هذه، ما نسوقه تبعا:

صامدون، صامدون	فابطشي يا سجون
زنجري بالمنون	لا نذل لا نخون ⁽³⁴⁾ .

وقوله أيضا:

إن ضاق سحني لم يهن فؤادي لا يسترق الحر بالأصفا

أخفقت في التعذيب يا جلادي
ما كنت يوما خائنا
بلادي (35).

لقد سجّلت المادة الشعرية التي أنتجها هذا الشاعر، صراخات السجين الجزائري وهتافاته بالحرية، وناقشت نماذج الاستبسال أمام البطش الاحتلالي والعنف الاستدماري المُمارس في حق السجين، وتصديّبه القوي لسياسة المحتل الوحشية الرامية لافتكاك أسرار الثورة من صدر السجين بكل ما أوتي الجلاد من قوة الوحشية والجبروت وإمكانات العنف والاضطهاد، وأشهر السجناء في وجه الجلادين سلاح الشهادة والصبر والكتمان على أسرار الثورة وما تخفيه صدورهم من أخبارها وأسرارها .

2. 4. الربيع بوشامة (1916-1959) أنموذج القلم الشعري الثوري والفكر الاصلاحى
التحرري:

ينحدر هذا الشاعر من منطقة "قنزات" التابعة لولاية سطيف حاليا. ألقت عليه قوات الاحتلال القبض في حوادث الثامن ماي 1945 بمنطقة خراطة، أين حُكم عليه بالإعدام، لكن بعد استئناف المحاكمة برأت المحكمة ذمته، فخرج من السجن سنة 1946. ناضل في صفوف جبهة التحرير إلى غاية 1959 تاريخ اختطافه وإعدامه من طرف الجيش الفرنسي (36).

واصل الشاعر نضاله التحرري في سبيل وطنه إلى أن ألقى المحتل عليه القبض في 16 جانفي 1959، واقتادوه إلى السجن، أين مكث بين جدرانها مدة خمسة شهور، تلقى خلالها أصنافا شتى من التعذيب والتنكيل، حتى سقط شهيدا تحت سلطان التعذيب على أيدي الجلادين الفرنسيين في الثالث عشر من شهر ماي لعام 1959 (37).

كان الشاعر " الربيع بوشامة" مواكبا بشعره مسيرة الثورة التحريرية، يصور ملاحمها، ويخلد مآثرها، ويرسم بطولات أمجادها بقلمه وفكره وروحه (38). فحسب الباحث "مُحمَّد ابن سمينة" الذي خصّ الشاعر بدراسة وافية حول شخصيته ونضاله الثوري والشعري، فإنّ هذا

عنوان المقال: الفخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

الشاعر قد امتلك من المؤهلات العلمية والمقومات العقلية ما يؤهله للاضطلاع بمهام نضالية والدفاع عن القضية الوطنية، وكان قلمه الشعري قوة كبيرة مكنت للفكرة الاصلاحية، واستطاع أن يبلور ويصور مشكلات مجتمعه ويخلد مآثر بطولاته، ويساهم في شحن الهمم والتعاطف مع قضايا وطنه، فكان بذلك: مصلحا، ومربيا وكاتبا وخطيبا وشاعرا⁽³⁹⁾.

من أشهر القصائد التي نظمها الشاعر "الربيع بوشامة"، تلك المعروفة بـ "شجون"، المؤرخة في ديوانه بشهر جانفي 1958، التي دعا على كاهلها إلى ضرورة التجند في صفوف جيش التحرير، والتنديد الصارخ بالجرائم البشعة التي يقترفها جنود الاحتلال في حق الشعب الجزائري، من تشريد، وتعذيب، وتقتيل وابادة جماعية⁽⁴⁰⁾.

أما من النماذج التي يحسن بنا أن نوردتها في هذا المقام للاستدلال على ما بسطناه والرفع من سقيفة جلائه، ما يأتي ذكره:

يا حماة العرين والأشبال أنزلوا بالعدو كل وبال
وانزعوا من يديه حرية الأوطان واثنوا لها بالاستقلال
وأعيدوا لذي الكبود الرطاب رحمات الصبا وأنس الشباب⁽⁴¹⁾.

2. 5. مُحَمَّد العبد آل خليفة (1904-1979) صاحب السيف الشعري البتار:

كان لهذا الشاعر والمصلح والمفكر يد طويلة في مسار النهضة العلمية والاصلاحية الجزائرية لا سيّما بمنطقة بسكرة إلى غاية سنة 1927. اعتقلته قوات الاحتلال مع اندلاع الثورة التحريرية النوفمبرية، وفرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة حتى تاريخ الاستقلال⁽⁴²⁾. من القصائد الشعرية التي نظمها الشاعر يدعو إلى الاصلاح ونبذ الارهاب والاستبداد الفرنسي، وينادي بحق الشعب الجزائري في نيل استقلاله واستعادة حريته، ويطالب بتوفير أسباب رقيه، وازدهاره:

هذه الأرض سوف تنبت عزا إن تصافت في ظلها

الأحزاب

كلنا إخوة من الدين والجنس عليها وكلنا أحباب
 نبتغي العيش في الجزائر حرا مطلقا لا يحفه ارهاب
 أرشدنا السبيل أيتها الحمراء انا قوم إليك ركاب
 هل إلى وصل بيننا من سبيل غبت عنا وطال منك
 الغياب (43).

أمّا في مساحة تعبيرية من هذا الشاعر عن غربة الجزائري في وطنه وهو بين أهله تحت مظلة المحتل، فقد تجاوز الشاعر "مُجدّ العيد آل خليفة"، حدود التعبير عن حالة اليأس على ضوء الشعور بالاغتراب التي يتخبط فيها هو وساكنة وطنه، إلى إشهار سيف الكلمة الشعرية الحادة في دعوة منه لإيقاظ الهمم النائمة والجره بصوت مدوي لطرده الاغتراب بطرد المحتل وزعزعة عرش الطغيان الفرنسي وكسر جيروته، وهو ما يصدق عليه قوله في الأبيات الموالية:

الأسر طال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطموا الأغلال
 والشعب ضجّ من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقالا
 لا أمن إلاّ في ظلال مرفوف حرّ لنا عال ينير هلالا (44).

ففي مظهر جدّ كاشف مدى اعتزاز الشاعر الجزائري بوطنه، واحساسه بالكرامة تحت سقفه، ورفضه القاطع لحياة تحت جناح المحتل سمتها الذل والهوان وتغنيّه بحياة العزة ودعوة غيره إليها، يصبح مفدي زكريا بكل فخر واعتزاز بأنّ:

لنا وطن مثل الفراديس بهجة فكيف رضينا أن يُداس و ينهب
 وكيف رضينا أن نعيش أذلة ضعافا، يرانا الغير أحقر من هبا
 أسلنا من الأجناس أفصحهم فما وأسمحهم ديناً، وأصلحهم أبا؟
 بنا درّت الدنيا عليهم بخيرها وأخصب منها كل ما كان أجذبا
 ولدنا، وأنجبنا، ففرزنا عليهم ومن ولد الصيد المناجيد أنجبا (45).

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

أما في رؤية تفصح عن ما يحمله الشاعر الجزائري من أثقال الهموم وأحمال التساؤلات بشأن مصير بلاده، وهو يتخبط بين ضلوع السجون: من حرقه الأكبادة، واضطراب البال، وهيجان جوانح النفس لحال الوطن، فإنّ خير ما عبّر به الشاعر "مُجد العيد آل خليفة" عن ذلك هو:

تساءل الشعب في ضيق و في حرج هل للشعبين من عفو و من فرج؟
هل للذين بسجن الكدية اعتقلوا روح من العفو صفو طيب الأرج
قل للولاة دعوا التضيق واقتصدوا فرمّا جرّنا التضيق للمرج (46).

5. خاتمة:

نخلص من خلال دراستنا هذه، لواقع نضال الشاعر الجزائري السجين في سبيل القضية الوطنية، وما رسمه من مظاهر الصبر والتحدي والطموح لنيل الحرية إلى جملة من النتائج، نوجزها في المحاور الموالية:

- شكل السجن فضاء لرسم صنوف من مظاهر طغيان وجرائم المحتل، ورفض كل مساومة لقضيته الوطنية المشروعة، وشاهدا على عديد ألوان الايثار والتنافس لبذل النفس والنفيس فداء للجزائر من طرف أبنائها، ومجالا لرسم ملاحم بطولية خالدة في التضحية لنيل الاستقلال والحرية، ومدى تعلق الجزائري بوطنه وأرضه وترابه.
- شعور السجين بواجب الصبر والتحدي لنيل المبتغى؛ وهو استقلال الجزائر، وإدراكه بأنّه في منبر للجهاد والدفاع عن مقومات شخصيته، وفي جهاد بالقلم والنفس لتحرير الوطن.
- إدراك الشاعر الجزائري السجين بأنّ صبره وتحمله لمشاق السجون وأعبائها الاستعمارية: يعدّ هزيمة كبيرة تحصدتها الادارة الفرنسية على الصعيد النفسي والمعنوي.

- كان السجن ملتمى للشعراء لدراسة أوضاع الجزائر وبحث سبل خدمة القضية التحريرية، ودعم نظرائهم المجاهدين في الجبال والمدن والقرى والمداشر، ووعاء احتوى أفكارا وأقلاما حادة على المحتل؛ تكشف زيغ دعواه وباطل مساعيه، وتدير درب الثائرين الجزائريين عليه، وترسم الطريق الآمن أمامهم لبلوغ المراد.

- لم يكن السجن بالنسبة للمناضل الجزائري مكانا للإقامة والاصطفاف انتظاراً للمصير المجهول، وإنما كان فضاء للتخطيط والتنظير، وبطنا ولودا لصور التحدي والصمود.

- عبر السجناء في مواقف عسيرة مروا بها في أحشاء السجون وبين قضبانها على مظاهر الوحدة والتضامن والتعاون للهدف الرئيس من الثورة النوفمبرية المظفرة، وكان كل منهم عوناً لأخيه على تخطي أحلك الأوقات وأعتى المواقف التي يمرون بها، وفي طليعتها الموقف العظيم وذلك حين يُقادون إلى جبل المشنقة ويُساقون إلى منصة المقصلة.

- كان الشعر من بين أقوى الأسلحة التي تصدى بها شعراء الثورة لأساليب القمع والترويع التي انتهجها المحتل لكسر الثورة وإضعاف مفعولها وضعضة صفوف الجموع الشعبية الملتفة حول قادتها.

- لم يقتصر فشل الإدارة الاحتلالية الفرنسية على وقوف عناصرها على مشاهد حب الجزائريين السجناء التضحية، ورغبة السجناء المحكوم عليه بالإعدام في الموت والشهادة، فداء لوطنه، وتسابق السجناء إلى ذلك، وإنما كان فشلها عظيماً أيضاً، حين كانت تلك الأنباء تتناقل إلى خارج السجون، فتقذف في نفوس الجزائريين شحنات عظيمة من الصبر تعينهم على مواصلة النضال والكفاح للتحرر.

6. الهوامش:

1. انظر على سبيل المثال، ما ساقه: عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 10-14.

عنوان المقال: الفخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدى
شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

2. وهي قصيدة للشاعر عبد القادر حسن، نظمت القصيدة سنة 1958، انظر: عثمان سعدي: "الثورة الجزائرية في الشعر السوري"، أطروحة دكتوراه، ج2، معهد اللغة والأدب الجزائري، جامعة الجزائر، الجزائر، ص362.
3. الأبيات من ديوانه: اللهب المقدس، قالها في سجن "بربروس".
4. مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 "دراسة موضوعية فنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص149.
5. حول ادارة السجون الفرنسية بالجزائر، انظر: بناجي جازية: السجون الاستعمارية بالجزائر مع دراسة نموذجية لسجن سركايجي (بربروس) اعتمادا على سجلات الإيداع 1954-1962، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002-2003، ص20-25.
6. بيطام: المرجع السابق، ص150.
7. بناجي: المرجع السابق، ص23-25، بيطام: المرجع السابق، ص150.
8. بيطام: المرجع السابق، ص150.
9. بناجي: المرجع السابق، ص23-25.
10. العربي الزيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1986، ص33.
11. وذلك من خلال ما عايشه في سجن بربروس، تحت أقبية المظلمة، للمزيد، انظر: بيطام: المرجع السابق، ص150.
12. بيطام: المرجع السابق، ص152-153، الزيري: المرجع السابق، ص33-35.
13. ومن هؤلاء الجزائريين الذين ينتدبون لمثل هذه المهمات الاجرامية في حق الشعب الجزائري نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "بوجي" و "فرقيلوف"، بحيث كانوا يمتازون بقساوة شديدة وبطش كبير، ذلك أنه يتم اخيارهم بعناية فائقة لمثل هذه المهام التعسفية-الاجرامية.
14. انظر كذلك ما أورده في هذا السياق: الزيري: المرجع السابق، ص33-35.
15. بيطام: المرجع السابق، ص154.
16. الأبيات للشاعر مفدي زكريا، أوردها في كتابه: "كيف نتحدى الموت أمام المقصلة"، انظر: العربي الزيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص116، 157.

17. الأبيات للشاعر مفدي زكريا، أوردها في ديوانه : اللهب المقدس، انظر: المرجع نفسه ، ص172-173.
18. الزيري: المرجع السابق، ص.41
19. عمارية سنوساوي: "الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1433-1434هـ / 2012-2013م، ص.73
20. المرجع نفسه، ص73.
21. الزيري: المرجع السابق، ص34-36، عمارية: المرجع السابق، ص74.
22. عمارية: المرجع السابق، ص105، الزيري: المرجع السابق، ص34-36.
23. بيظام: المرجع السابق، ص158.
24. ولد أحمد سحنون عام 1907 بقرية ليانة ببسكرة، تلقى تعليمه على يد عدة شيوخ منهم عبد الحميد بن باديس، شارك في اثناء البصائر بشعره ومقالاته، وكان أغلب شعره ما نظمه في سجون المحتل.
25. الأبيات للشاعر أحمد سحنون المدونة في ديوانه، انظر: الزيري: المرجع السابق، ص34-36، بيظام: المرجع السابق، ص168.
26. ففي الساحة الشرفية لسجن بربروس تم نصب المقصلة وكان ذلك في سنة 1956، وكان الشهيد أحمد زبانه هو أول من دشنها بالشهادة، ثم لحق به العديد من الشهداء اعداما بواسطتها، انظر: بناجي: المرجع السابق، ص33.
27. انظر: بناجي: المرجع السابق، ص171، وللمزيد من التفصيل في هذا السياق، انظر: الزيري: المرجع السابق، ص34-36.
28. الزيري: المرجع السابق، ص34-36.
29. بيظام: المرجع السابق، ص161.
30. الأبيات للشاعر أحمد سحنون المدونة في ديوانه، انظر: المرجع نفسه، ص161.
31. المرجع السابق، ص163-164.
32. عمارية سنوساوي: المرجع السابق، ص101.
33. بيظام: المرجع السابق، ص174.
34. الأبيات من ديوانه: "الروابي الحمر"، المرجع نفسه، ص174.
35. المرجع نفسه، ص174.

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدى " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

36. بيطام: المرجع السابق، ص208.
37. المرجع نفسه، ص208.
38. للوقوف على تفاصيل مستفيضة في هذا الشأن، انظر: مُجدّ ابن سمينة: "الشاعر الشهيد الربيع بوشامة"، مجلة المصادر، العدد الثامن عشر، السداسي الثاني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2008، ص205-208.
39. المرجع نفسه ، ص208.
40. المرجع نفسه ، ص209.
41. المرجع نفسه ، ص220.
42. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج9، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص440. بالإضافة إلى الشاعر: عبد الرحمن العقون: وهو من مواليد عام 1908 من وادي الزناتي، كان من المناضلين في صفوف حزب الشعب، حيث تعرض هو الآخر للسجن أثناء النضال السياسية والحركة الوطنية، كما اعتقلته القوات الفرنسية أثناء فترة الثورة التحريرية الكبرى.
43. عمارية: المرجع السابق، ص22-23.
44. الزبيري: المرجع السابق، ص45-46، عمارية: المرجع السابق، ص22-23.
45. المرجع نفسه ، ص100-101.
46. المرجع نفسه ، ص107.
- 8. قائمة المصادر والمراجع:**
- 1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج9، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .
- 2- أحسن بومالي: مراكز الموت البطيء: "وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية"، مجلة المصادر، العدد الثامن، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2003.

- 3- أحمد مريوش: الأسلاك الشائكة في الجزائر هل هي استراتيجية جديدة لخنق الثورة أم هي اعتراف ضمني بنجاحها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
- 4- أحمد مريوش: "السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية ما بين (1900-1930)", مجلة المصادر، العدد العشرون، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2009.
- 5- أسامة غربي: "مسؤولية فرنسا عن ارتكاب جرائم حرب في حق الجزائريين دراسة على ضوء القانون الدولي"، مجلة المصادر، العدد الرابع عشر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2006.
- 6- أوساريس: شهادتي حول التعذيب مصالح خاصة: الجزائر 1957-1959، ترجمة، مصطفى فرحات، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2008.
- 7- محمد ابن سمينة: "الشاعر الشهيد الربيع بوشامة"، مجلة المصادر، العدد 18، السادسي الثاني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2008.
- 8- الزبيري العربي: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- 9- بيطام مصطفى: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 "دراسة موضوعية فنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998.
- 10- بناجي جازية: السجون الاستعمارية بالجزائر مع دراسة نموذجية لسجن سركاجي (بربروس) اعتمادا على سجلات الإيداع 1954-1962، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002-2003.
- 11- ركيبي عبد الله: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

عنوان المقال: النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستعماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا

- 12- سعدي عثمان: "الثورة الجزائرية في الشعر السوري"، أطروحة دكتوراه، ج2، معهد اللغة والأدب الجزائري، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 13- سنوساوي عمارية: "الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1433-1434هـ/ 2012-2013م.
- 14- قوين زينب: "الشعر الديني الجزائري القديم في القرون السابع، الثامن، والتاسع -موضوعاته وخصائصه-"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م .
- 15- هدي فاطمة الزهراء: "جمالية الرمز في الشعر الصوفي..."، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1427هـ/ 2006م.
- 16- لهلاي أسعد: "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)", أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011-2012.